McArthur) في كتاب (القلب الذكي) "مع كل نبضة لا يدفع القلب دفقة من الدم فقط، بل يبعث برسائل عصبية هرمونية وميكانيكية وكهرومغناطيسية إلى المخ محملة بكثير من المعلومات، فإذا كانت نبضات القلب في توافق عال فسوف تصل هذه المعلومات إلى المخ، وتتحسن وظائف القشرة المخية الحسية والإدراكية والمعرفية والذهنية والنفسية، مما يؤدي إلى صفاء عقلي ونفسي مع قدرة أعلى على وزن الأمور واتخاذ القرار، فتتفجر القدرات الإبداعية للإنسان، ويؤدي ذلك كله إلى قدر عال من التوافق العقلي والنفسي".

بل إن القلب يرسل للدماغ معلومات أكثر من تلك التي يستقبلها منه، والقلب يخاطب المخ وينسق معه جميع الأنشطة، فكما ينشط المخ بمراكز ذاكرته وحسه بواسطة التغذية الراجعة عبر الشبكات العصبية الدموية، فكذلك الحال بالقلب الذي يعمل بصفته جهاز تخزين للمعلومات والذكريات عن طريق التغذية الراجعة عبر كل من الأعصاب والدم كما يؤكد د. بول برسال (Paul K. Pearsall) في كتابه شفرة القلب (The Heart Code).

وهذا ما يؤكده البروفيسور جاري شوارتس (Prof. Gary Schwartz) أخصائي الطب النفسي في جامعة أريزونا، والدكتورة ليندا روسيك (Linda G. S. Russek)، حيث يعتقدان أن للقلب طاقة خاصة يتم بها تخزين المعلومات ومعالجتها أيضًا، فالذاكرة ليست فقط في الدماغ، بل قد يكون القلب محركًا لها ومشرفًا عليها.

يؤكد أطباء القلب في كل من جامعة ييل Yale الأمريكية ومعهد هارتمن بولاية كاليفورنيا أن القلب جهاز فائق التعقيد بل هو أكثر أجزاء الجسم تعقيدًا، وأكثرها دقة وغموضًا، وأنه يتحكم في المخ أكثر مما يتحكم المخ فيه، ويرسل إليه المعلومات أضعاف ما يتلقى منه، وللقلب القدرة على التفكير والانفعال والشعور والعاطفة وتخزين المعلومات القريبة والبعيدة في ذاكرة تشبه ذاكرة المخ.

وقد قام الدكتور (Gary Schwartz) وزملاؤه في جامعة ييل Yale بأبحاث ودراسات دقيقة ضمت أكثر من 300 حالة زراعة قلب، فاتضح لهم أنه عند نقل قلب من إنسان إلى إنسان آخر، فإن القلب المنقول يأخذ معه من الذكريات والمواهب والعواطف والمشاعر والهوايات والتفصيلات الخاصة بالشخص الذي أُخذ منه القلب والتي تبدو غريبة كل الغرابة عن صفات الشخص الذي تم نقل القلب إليه، وقد نشرت نتائج بعض هذه الأبحاث في الورقة الشهيرة عام 1999م في مجلة (Internal Medicine).

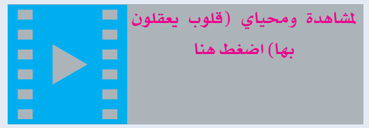

الحالة الأولى: في إحدى هذه الحالات توفي شاب عمره 18 سنة في حادث سيارة، ووالده طبيب وكان هذا الشاب يكتب الشعر ويلعب الموسيقى ويغني، وتم نقل قلبه إلى فتاة في نفس عمره فأصبحت بعد زراعة القلب عاشقة لنفس نوع الموسيقى بل والعزف وإكمال كلمات من أبيات الشعر وكلمات الأغاني للميت لم تسمعها من قبل.

الحالة الثانية: رجل أبيض عمره 47 سنة عامل في مصنع (سبك) للمعادن تلقى زرع قلب شاب أمريكي من أصول أفريقية عمره 17 عامًا. متلقي القلب فوجئ بعد زرع القلب أنه عاشق للموسيقى الكلاسيكية مكتشفًا لاحقًا أن المتبرع كان مغرم بهذا النوع من الموسيقى ويلعب بآلة الكمان ومات وهو في طريقه إلى درس الموسيقى.

الحالة الثالثة: متبرع بها طفل في 13 من عمره يدعى جيري غرق في حوض الحمام ووالدته طبيبة، والمنقول إليه القلب طفل اسمه كارتر يعاني من ثقب في القلب، وبعد الزراعة كان كارتر بصحبة والديه، وفجأة أفلت كارتر من يد أمه وهرع إلى رجل غريب من بين مئات الأشخاص المتواجدين في المكان، وقفز إلى حجره وضمه وناداه بـ (Daddy) أو (أبي) مما أدهش والديه، فقد كان هذا الرجل هو والد المتبرع بالقلب جيري، ولم يره كارتر في حياته، وعندما سئل لماذا فعل هذا قال: إن جيري هو الذي جرى لوالده وأنا ذهبت معه.

الحالة الرابعة: المتبرع فيها طفلة عمرها 3 سنوات، غرقت في المسبح، والمتلقي طفل عمره 9 سنوات، وهو لا يعرف شيئًا عن المتبرعة، ولا كيف ماتت، ولكنه بعد زراعة القلب أصبح يخاف من الماء بعد أن كان يعشق السباحة، ولا يعرف تفسيرًا لهذا الخوف.

الحالة الخامسة: المتبرع فيها طفل في الثالثة من عمره سقط من النافذة، والمتلقي طفل في الخامسة من عمره، وبعد العملية أصبح المتلقي يكره ألعاب الباور رينجيرز بعد أن كان يحبهم. ولا يعرف والداه سببًا لذلك، ثم اتضح لهم في المقابلة أن المتبرع سقط من النافذة وهو يحاول أن يصل إلى لعبته (الباور رينجيرز) على حافة النافذة.

الحالة السادسة: لطفل نقل له قلب طفل آخر لديه خلل في الجانب الأيسر من دماغه، وعند بحث الأطباء عن سبب هذا الأمر وجدوا أن الطفل الأصلي صاحب القلب الأصلي كان يعاني خللاً في الدماغ في نفس الجهة اليسرى للطفل المنقول إليه القلب.

وقد كتبت (Claire Sylvia) التي تلقت زراعة قلب ورئتين عام 1988م في مستشفى جامعة ييل، كتابًا عام 1997م بعنوان (A Change of Heart) أو (تغيير قلب) وصفت فيه التغييرات التي طرأت عليها من سلوك وعادات وهوايات وتغير في الرغبات والذوق، مثل حبها لدجاج كنتاكي، بعد أن كانت تكرهه، وقد وجد أن المتبرع كان يعشق هذا الطعام إلى حد أنه وجد في جيبه قطعة دجاج كنتاكي عند وفاته.

وما زال العلم يكشف لنا في كل يوم ما قد يفسّر تلك الظواهر، التي استعصت حتى اليوم عن إيجاد تفسير منطقي لها.

تفسير هذه الظواهر وغيرها أن قلب الإنسان ليس مجرد مضخة للدم، وإنما أودع الله في هذا القلب برامج تتحكم في عمل هذا القلب، وتستقبل هذه البرامج المعلومات وكل ما يسمعه ويراه الإنسان ليتم تخزينه في القلب الذي يصدر أوامره للدماغ ليقوم بأداء مهامه.

هل معنى هذا أن مركز العقل هو القلب وليس الدماغ؟ هل هذا يفسر قوله تعالى ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ وقوله ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾. لقد ذهب جمهور المفسرين أن العقل في القلب بغض النظر عن ماهية العقل، وقد اجتمعوا في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ بأن العقل في الآية إنما محله القلب. وأكد القرطبي بقوله: أضاف سبحانه العقل إلى القلب لأنه محله، كما أن السمع محل الأذن.

وجمع ابن القيم بين القلب والعقل والدماغ بطريقة جميلة، فقال: الصواب أن العقل مبدؤه ومنشؤه في القلب، ومزرعه وثمرته في الرأس، وهذا ما أكده أينشتاين بقوله عن علاقة القلب بالدماغ: إن القلب هدية قدسية ربانية، أما الدماغ فهو الخادم المطيع له.

ولذلك عندما يرضى القلب ويحب، فإنه يأمر العقل فلا يرى إلا حُسنًا، وعندما يُبغض القلب فيأمر العقل فلا يرى إلا قبحًا

وَعَينُ الرِضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ
وَلَكِنَّ عَينَ السُخطِ تُبدي المَساوِيا

هل هذا يفسر كيف أن ما يراه العبد ويسمعه ويقوله ويفعله يطهر قلبه ويزكيه، أم يتجمع عليه كالران الأسود فيطمسه ويعميه. يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى "إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي قوله تعالى.. ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

هل هذا يفسر قوله صلى الله عليه وسلم " أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ". هنا أفهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾.

سجدة

أَسْجُدْ لربّكَ شُكْرًا واحْتَضِنْ وَطَنَا
ماخَابَ مَنْ شكَرَ الوَهّابَ ما وَهَنَا

قَبِّلْ هَوَاهُ وعانِقْ كُلَّ مُورِقَةٍ
وَأَجِّجِ الشّوقَ زَهْوًا وابْعَثِ الشَّجَنَا

اُسْجُدْ لربِّكَ طَهِّرْ جَبْهَةً وَثَرَى
بِذِكْرِهِ فَعَسَى أَنْ يَغْسِلَ الحزنا

وانْفُضْ غُبَارَ الأَسَى عَنْ حُلْمِ أُمَّتِنَا
لِتَنْهَلَ الماءَ صَفْوًا بَعْدَ ما أَسِنَا

اُسْجُدْ لِرَبِّكَ كَبِّرْ وابْتَهِجْ فَرَحًا
اُسْجُدْ لِرَبِّكَ شُكْرًا واحْتَضِنْ وَطَنا

إبراهيم عمر صعابي
جازان